حوار مع صديقي الزوج

محمد رشيد العويّد

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

حـواء

254.
ع م ح

حوار
مع صديقي
الزوج

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

صدق الله العظيم

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مكتبة
دار حواء
الثقافة النسائية

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف ٢٦١٤٦١٧ - ص ب: ٧١٤٩ الرمز البريدي: 22082 السالمية.

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦ - التسجيل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

حوار مع صديقي الزوج

١/٤٥٢
عمح

محمد رشيد العويد

مكتبة
دار حواء

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

روى مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن الشيطان ليضع عرشه على الماء. ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة. يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته يقول كذا وكذا. فيقول إبليس: لا. والله ما صنعت شيئاً! ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت».

زرع بذور الفرقة بين الزوجين إذن.. عمل شيطاني كبير، يتقرب به مبعوثو إبليس إليه؛ فيقربهم ويدنيهم ويلتزمهم، كما جاء في الحديث الشريف.

وإن نسب الطلاق المتزايدة يوماً بعد آخر، لتشير إلى ما يحققه جنود إبليس في المجتمعات التي تزداد بعداً عن

شرع الله تعالىٰ.

ولقـد كثرت آثار الطلاق الخطيرة حتى وصلت إلىٰ الاقتصاد نفسه، ـ وبلغت خسائر بريطانيا وحدها نتيجة الـطلاق مليار جنيه اسـترليني سنوياً. . . فكيف بآثاره الاجتماعية، والنفسية، والتربوية؟!

أردت بهذا أن أقـدم للمحاورات التي يضمها هذا الكتاب الصغير، وكانت مع ستة أزواج، غابت عن كل واحد منهم بعض معاني الزواج.

ولقد وفق الله تعالىٰ فكانت هذه المحاورات الست سهلة الفهم، واضحة التعبير، ساعد أسلوب الحوار فيها على بيان خطأ ما استقر في ذهن بعض الأزواج، والتباس غيره علىٰ بعضهم الآخر، وغياب حقائق عن بعضهم الثالث.

ولقد لاقت هذه المحاورات قبولاً طيباً حين نشرت في إحدىٰ المجلات الأسبوعية، وحازت رضا لم أكن أنتظره. وإني لأرجو أن تجد لدى قراء هذا الكتاب الصغير هذا الرضا وذاك القبول.

وأدعو الله أن يوفق إلى كتابة محاورات أخرى. . توضح وتبين ما قد يغيب عن أزواج آخرين.

اللهم تقبل هذا مني، وانفع به، واجعله خالصاً لوجهك الكريم.

محمد رشيد العويد

١٤١٣هـ - ١٩٩٣

ضلع أعوج

ضلع أعوج

جاءني مكفهر الوجه، ضائق الصدر، ينفخ وكأن ناراً في صدره يريدها أن تخرج . . .

قلت له: خير إن شاء الله؟

قال: ليتني يا أخي لم أتزوج . . كنت هانيء البال، مرتاح الخاطر. . .

قلت: وما يتعبك في الزواج؟

قال: وهل غيرها!

قلت: تعني زوجتك؟

قال: أجل.

قلت: وما تشتكي فيها؟

قال: قل ماذا لا أشتكي فيها!

قلت: تعني أن مالا يرضيك فيها أكثر مما يرضيك؟

هز رأسه هزات متتالية. . مؤيداً. . موافقاً.

قلت له: لعلك تشتكي عدم انقيادها لك؟

نظر في عينيَّ وقال: فعلاً . .

قلت: . . وكثرة دموعها حين تناقشها وتحتدّ في جدالها؟

ظهرت الدهشة واضحة وهو يقول: . . نعم . . نعم . .

تابعت: . . وكثرة عنادها . . ؟

زادت دهشته: كأنك تعيش معنا . . !

قلت: وتراجع اهتمامها بك بعد مضي أشهر الزواج الأولى؟

قال: كأنما حدثك عنها غيري!

واصلت كلامي: وزاد تراجع اهتمامها بك بعد أن رزقتما بالأطفال؟

قال: . . أنت تعرف كل شيء إذن!؟

قلت: هوّن عليك يا أخي . . واسمع مني.

هدأت مشاعر الغضب والحنق التي بدت عليه، وحلّت مكانها رغبة حقيقية واضحة في الاستماع، وقال: تفضل.

قلت: حين تشتري أي جهاز كهربائي . . كيف تستعمله؟

قال: حسب التعليمات التي يشرحها صانعو هذا الجهاز.

قلت: حسناً. وأين تجد هذه التعليمات؟

قال: في كتيب التعليمات المرفق بالجهاز.

قلت: هذا جميل. لو افترضنا أن شخصاً اشترى جهازاً كهربائياً، وورد في كتيب التعليمات المرفق به أنه يعمل على الطاقة الكهربائية المحددة بمائة وعشرين فولتاً فقط... ومع هذا قام مشتري الجهاز بوصله بالطاقة الكهربائية ذات المائتي وأربعين فولتاً...

قاطعني: يحترق الجهاز على الفور..!

قلت: ولنفترض أن شخصاً يريد أن يشترك في سباق سيارات بسيارة يشير العداد فيها إلى أن أقصى سرعة لها هو ١٨٠ كيلو متراً والسيارات المشاركة الأخرى عدّاداتها تشير إلى أن السرعة القصوى فيها ثلاثمائة كيلومتر..

قال بسرعة: لن يفوز في السباق.

قلت: لنفترض أننا سألناه فأجابنا: إنه سيضغط دوّاسة الوقود إلى آخرها...

قال: لن ينفعه هذا . . وليضغط بها شاء من قوة . . فإن السيارة لن تزيد سرعتها عن ١٨٠ كيلومتراً .

قلت: لماذا؟

قال: هكذا صنعها صانعوها .

قلت: . . . وهكذا خلق الله المرأة!

قال: ماذا تعني؟

قلت: تلك الطبيعة النفسانية التي اشتكيتها في المرأة . . هي التي خلقها سبحانه وتعالى عليها . ولو قرأت طبيعة المرأة في كتيب التعليمات المرفق معها . . لما طلبت منها ما تطلبه من رجل!

قال: أي كتيب معلومات تقصد؟

قلت: ألم تقرأ حديثه ﷺ :

«استوصوا بالنساء خيراً . . فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج . . وأعوج ما في الضلع أعلاه ؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته . . وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً» .

وفي رواية أخرى ***«إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم على طريقة . . فإن استمتعت بها . .***

استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها.. وكسرها طلاقها».

قال: بلى.. قرأته.

قلت: اسمح لي إذن أن أقول.. إن ما تطلبه من زوجتك.. يشبه ما يطلبه صاحب السيارة التي حددت سرعتها بـ ١٨٠ كيلومتراً في الساعة..

قال: تعني أن زوجتي لن تستجيب لي.. كما لن تستجيب السيارة لصاحبها الذي يضغط دواسة البنزين فيها لتتجاوز سرعة الـ ١٨٠ المحددة لها؟!

قلت: تقريباً.

قال: ماذا تعني بـ «تقريباً»؟

قلت: تأمل حديثه ﷺ إذ يخبرنا بأن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وأن هذا العوج من طبيعة المرأة، فإذا أراد الرجل أن يقيمه أخفق.. وانكسر الضلع..

قال: ..كما يحترق الجهاز الكهربائي المحددة طاقة تشغيله بـ ١٢٠ فولتاً.. إذا وصلنا به طاقة كهربائية ذات ٢٤٠ فولتاً..

قلت: أصبت.

قال: . . ولكن ألا ترىٰ أن هذا يعني نقصاً في قدرات المرأة؟

قلت: نقص في جانب. . ووفرة في جانب آخر. يقابلهما في الرجل. . نقص ووفرة أيضاً. . ولكن بصورة متقابلة. . فنقص المرأة تقابله وفرة في الرجل. . ووفرتها يقابلها نقص في الرجل.

قال: اشرح لي. . نقص في ماذا. . ووفرة في ماذا؟

قلت: عد معي إلىٰ العوج الذي أشار إليه ﷺ في الحديث. . وحاول أن تتصور أماً تُرضع طفلها وهي منتصبة القامة. .! أو تلبسه ثيابه وهي منتصبة القامة. أو تضمه إلىٰ صدرها وهي منتصبة القامة. . .

قال: يصعب هذا. . فلا يمكن تصوّر أُمٍّ ترضع طفلها إلا وهي منحنية عليه. . ولا تلبسه ثيابه إلا وهي منحنية عليه. . ولا تضمه إلىٰ صدرها إلا وهي منحنية عليه. . .

قلت: تصوّر أي وضع من أوضاع رعاية الأم لطفلها. . فلن تجدها إلا منحنية.

قال: وهذا يفسر سر خلقها من ضلع أعوج. .

قلت: هذه واحدة.

قال: والثانية..

قلت: جميع الألفاظ التي تحمل معنى العوج في اللغة العربية.. تحمل معنى العاطفة في الوقت نفسه.

قال: وأين العوج في كلمة العاطفة؟

قلت: مصدر العاطفة «عَطَفَ»، ومن هذا المصدر نفسه اشتقت كلمة المنعطف. وهو المنحنى كما تعلم. وفي لسان العرب: عطفت رأس الخشبة فانعطف. أي حنيته فانحنى. والعطائف هي القسي.. جمع قوس. ألا ترى القوس يشبه في انحنائه الضلع؟!

قال: سبحان الله. وهل ثمة كلمة أخرى يشترك فيها معنى العوج ومعنى العاطفة؟

قلت: دونك الحنان. ألا يحمل معنى العاطفة؟

قال: بلى. الحنان هو العطف والرقة والرأفة.

قلت: وهو يحمل معنى العوج أيضاً. تقول العرب: انحنى العود وتحنّى: انعطف. وفي الحديث: لم يحنِ أحد منا ظهره.. أي لم يثنه للركوع. والحَنِيَة: القوس. وها قد عدنا للقوس التي تشبه في شكلها

الضلع.

قال: زدني.. زادك الله من فضله.. هل هناك كلمة ثالثة.

قلت: هل تعرف من الأحدب؟

قال: من تقوّس ظهره!

قلت: ها قد قلت بنفسك «تقوّس».. واشتققت من القوس فعلاً وصفت به انحناء ظهر الأحدب.

قال: ولكن أين معنى العاطفة في الأحدب؟

قلت: في اللغة: حَدِب فلان على فلان وتحدّب: تعطّف وحنا عليه. وهو عليه كالوالد الحدِب. وفي حديث علي يصف أبا بكر رضي الله عنهما: «*وأحدبهم على المسلمين*».. أي أعطفهم وأشفقهم.

قال: لا تقل لي إن هناك كلمة رابعة...

قلت: أليس الاعوجاج في الضلع يعين أنه «*مائل*»..

قال: بلى.

قلت: العرب تقول: الاستمالة: الاكتيال بالكفين والذراعين.

قال: هذا يشير إلى العوج والانحناء.. ولكن أين العاطفة؟

قلت: ألا ترى أن أصل الكلمة هو «*الميل*». والميل اتجاه بالعاطفة نحو إنسان أو شيء.. تقول: أميل إلى فلان أو إلى كذا؟ وفي لسان العرب: «*الميل*»: العدول إلى الشيء والإقبال عليه.

قال: حسبك. فما فهمت العوج في الضلع الذي خلقت منه المرأة.. كما فهمته اليوم.. فجزاك الله خيراً.

قلت: وإياك.

قال: كأنك تريد أن تضيف شيئاً؟

قلت: أجل. فهذه العاطفة التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ.. يتحدث عنها علماء النفس المعاصرون بعد أربعة عشر قرناً، وبعد دراسات وأبحاث وملاحظات.

قال: ليتك حدثتني عنها.

قلت: لو أردت نقلها جميعها إليك لأمضينا ساعات. ولكني سأختار لك أمثلة لها.

قال: تفضل.

قلت: تأمل هذه العبارة للكاتب الفرنسي هنري ماريون في كتابه «خلق المرأة».. والتي أنقلها لك حرفياً؛

يقول: «**الفتاة على الإجمال أدق إحساساً من الفتى وأشد انعطافاً**».. لاحظ كيف يستخدم تعبير «**أشد انعطافاً**» مشيراً إلى العوج والانحناء.

ولأتم لك كلامه: «**انظر إليها كيف تحضن دميتها وكيف ترعاها بلهفة وحنان.. تظهر لك تلك الميزة واضحة. وما ذلك منها إلا سبقٌ ظهورٍ لغريزة الأمومة، وهي الغريزة التي تسمو في المرأة على كل غريزة أخرى.**

ولله در «ميشله» القائل: (**المرأة أُمٌ منذ المهد. بل إنها تتعشق الأمومة.. إلى درجة تُنزل معها، كل ما يوكل إليها، بمنزلة الأولاد**) راقب الفتاة الصغيرة وما تبديه من العطف والرعاية متى سُلِّم إليها أمر إخوتها وأخواتها الصغار. وكيف تسعى جهدها في ملاحظتهم وإرضائهم.. بل في تعليمهم وتدريبهم أيضاً. فإنما كل ذلك دليل جليٌ على أن المرأة خُلقت لتكون أماً ومربية في المقام الأول».

بل إن هنري ماريون يلتقط من اعوجاج الضلع صفة الحماية للرجل حيث يقول: «**اعوجاج الضلع فيه حماية لقلب الرجل، فكأنما المرأة لتحمي الرجل.. وتوفر له**

الاستقرار والطمأنينة والرضا. . الأمور التي تكفل عدم الاضطراب. . ومن ثم السلامة والعافية».

قال: صدقني أني سأعود الآن إلى زوجتي بمشاعر. . غير المشاعر التي خرجت بها من عندها.

قلت: تعني أنك جئت حانقاً غاضباً عليها. . وتعود الآن عاذراً حالها. . مقدراً ضعفها. . متفهماً طبيعة تكوينها العاطفية؟

قال: تماماً.

قلت: هل أطمئن إلى هذا؟

قال: كل الاطمئنان.

قلت: لقد أدركتَ إذن أن اهتمامها بأطفالها. . الذي كان على حساب اهتمامها بك. . فطرة زرعها الله فيها. . ولا يمكن أن يعود اهتمامها بك كما كان قبل إنجابها الأطفال.

لكن هذا لا يعني أنني أبرر للمرأة إهمالها لزوجها. . لا. . فبشيء من التنظيم. . والتعاون. . يمكن للمرأة ألا تنسى قسط زوجها من رعايتها واهتمامها.

قال: هذا صحيح.

قلت: وكذلك شكواك من كثرة بكائها.. فما البكاء إلا أثر من آثار شدة العاطفة. يشير ماريون إلى قول أحدهم: «*إن البكاء من مميزات المرأة في كل أدوار حياتها*». وقال منسيور دوبانو: «*بعض الفتيات مولعات بالبكاء.. حتى لقد عرفت منهن من كنَّ يبكين أمام مرآة لمضاعفة اللذة المتأتية لهن من البكاء*».

قال: تبقى شكواي من عنادها؟

قلت: إنه صفة لازمةلزوم العوج للضلع كأنك حين تريد انتزاع العناد من نفسها.. تحاول تقويم الضلع الذي لن يستقيم.. بل سينكسر إذا استمررت في محاولة تقويمه.

واسمع إلى ما يقوله الكاتب الفرنسي مونتاين: «*عرفت مئات من النساء.. تستطيع حملهن على عض الحديد الحامي.. ولا تستطيع إقناعهن بالتخلي عن رأي أبدينه في ساعة الغضب*».

والأمثال المتداولة في هذا المعنى كثيرة، منها المثل

القائل: *«إن من يطلب إقناع امرأة.. كمن يطلب تبييض آجرة. (القرميدة الحمراء)».*

يقول هنري ماريون في كتابه «خلق المرأة»: *«من الصعب على المرأة أن ترجع عن قولها وتعترف بغلطها.. وقلما تقول: أخطأتُ».*

وأيضاً لا أريد هنا أن أبرر عناد المرأة وعدم طاعتها لزوجها.. بل أشير فقط إلى طبع قد تُعْذَرُ إذا ظهر فيها.. ولعل الأجر الكبير الذي وعد به الرسول الكريم ﷺ على حسن تبعّلها لزوجها.. هو لمراغمتها هذا الطبع فيها.. وانتصارها عليه.

قال: كأنك تريد أن تطمئن أكثر إلى تغيّر مشاعري نحو زوجتي.. وزيادة تفهمي لطبيعتها.. واستعدادي للرفق بها وعدم الضيق منها؟!

قلت: لعلي كما قلت.

قال: أدعو الله أن يجزيك عني خير الجزاء.

قلت: ويجزيك على حسن استماعك ومحاورتك.. وسرعة استجابتك للحق.

قال: يبقى عندي طلب.

قلت: أعدك بتحقيقه إن استطعت.

قال: أن تنشر ما دار بيننا من حوار. . فكثير من الأزواج لا يعرفون ما جاء فيه من حقائق.

قلت: أفعل إن شاء الله.

فرصة للصبر

فرصة للصبر

كان من الشباب الذين آتاهم الله من فضله؛ أنعم تعالىٰ عليه بالثراء الذي ظهرت آثاره عليه . . في بيت كان أشبه بالقصر، وسيارتين، وخادمين، ورصيد لا أعرف مقداره، لكني واثق من ضخامته، فقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة، وعقارات كثيرة .

وعلى الرغم من هذا الثراء، فقد كان شاكراً، متصدقاً، محافظاً على صلاته، ملتحياً، ولم تبطره النعمة .

كان قد تزوج منذ عشر سنوات، لكنه، كما علمت، لم يكن سعيداً جداً بزواجه .

اتصل بي هاتفياً، قال: أريد أن أراك لأمر أريد مشورتك فيه . اتفقت معه على أن يزورني في بيتي المتواضع . . متعمداً الابتعاد عن قصره المنيف .

لم يتأخر عن موعده، بل إنه وصل قبله بقليل . رحبت

به وأنا أتساءل في نفسي عن المشورة التي جاء يطلبها مني . . وإن كنت أخمّن أنها حول زوجته .

بعد سؤالي عن حاله، واطمئناني على أخباره . . .

قال لي: أريد أن أستشيرك في شأن . . وجدت عندك فيه خبرة ودراية . . من خلال كتاباتك الموفقة عن المرأة والعلاقات الزوجية .

قلت: هذا حُسن ظن منك يا أخي . تفضل . . فإني مصغ إليك .

قال: تعلم يا أخي أني تزوجت منذ عشر سنوات . . ولعلك تحيط بشيء من خلافاتي المزمنة مع زوجتي التي يبدو أني لم أوفق بها . .

قلت: أجل . . أعلم .

قال: لا أقول لك حياتي معها لا تخلو من تنغيص . . بل هي تنغيص خالص لا يخلو من . . .

قاطعته: ماذا لا يعجبك منها؟

قال: لأكن صريحاً معك يا أخي . فأنا أطمئن إليك . . وإلى صدق نصحك .

قلت: قل يا أخي . .

قال: لقد ابتليت بزوجة غير جميلة. مشاكسة. تغار عليَّ. تتملكها خشية دائمة من زواجي عليها.. وبخاصة وهي ترى المال يفيض بين يدي.

قلت: ألم تجرب مقابلة مشاكستها بالرفق واللين...

قال: لا فائدة.. جربت.

قلت: أوعظتها كما أمر الله تعالى.

قال: ثم هجرتها.. ثم ضربتها.. لم ينفعها هذا كله.

قلت: وماذا تنوي أن تفعل؟

قال: أفكر بطلاقها!

قلت: هل رزقك الله منها بأطفال؟

قال: أربعة. ثلاثة ذكور.. وأنثى.

قلت: هل فكرت بمصيرهم.

قال: يبقون مع أمهم حتى يكبروا.. فيكونوا معي.

قلت: وهل تثق برعاية أمهم لهم في غيابك عنهم بعد طلاقك لها؟

قال: هي لهم أحسن ما تكون.. وأنا لم أشكُ من تربيتها لهم.. إنما أشكو من تعاملها معي. وسأعطيها النفقة التي تستحقها.. وأزيدها.

قلت: قد رتّبت لكل شيء عدته.. فما المشورة التي

تطلبها مني؟

قال: أردت أن تشير عليَّ: أتراني أظلمها بطلاقها؟

قلت: استشارتك هذه مؤشر خير فيك. مؤشر إلى خشيةٍ لله في نفسك.. ليس من ارتكاب حرام.. فالطلاق مباح.. ولكن خشية ارتكاب ظلم تجاه زوجتك. وما دامت هذه الخشية في نفسك.. فإني لن أجيب عن سؤالك بـ «نعم» أو «لا».. بل سأحاورك.. لتختار أنت بنفسك إبقاء زوجتك أم تطليقها.

قال: تفضل يا أخي. فوالله هذا ما سعيت إليه. فتفصيل الحديث يريحني ويبعث الطمأنينة في نفسي.

قلت: كيف سكنك؟

قال: تعني بيتي؟

قلت: أجل.

قال: تعلم أن بيتي «فيللا» فيها كل وسائل الراحة، ووفرت فيها كل شيء. فيها خادمتان. مع سيارتين عدا سيارتي الخاصة.

قلت: وطعامك؟

قال: من أطايب الطعام. وليتنا نأكله جميعه. فالقمامة لها النصيب الأكبر منه.

قلت: لعلك تعلم يا أخي أن هناك ملايين المسلمين يصبرون على حرمانهم من السكن. *لا أقول السكن الجيد.. بل حتى من السكن الصحي.. منهم ملايين الأفغان المهاجرين يعيشون في الخيام.. وملايين الفلسطينيين في المخيمات كذلك.. وملايين غيرهم في أفريقيا... وملايين الملايين من المسلمين لا يعيشون في المخيمات.. لكنهم لا يجدون السكن الذي يستأجرونه - لا يتملكونه - ليتزوجوا فيه...*

أطرق صاحبي قليلاً.. بينما واصلت حديثي:

وملايين ملايين المسلمين لا يملكون من المال ما يشترون به كل ما تشتهي أنفسهم.. أو لا تتوفر في بلدانهم كل أصناف الطعام.. أو أن أسعارها مرتفعة وترتفع يوماً بعد آخر.. وهم يصبرون على هذا.

قال: أكمل يا أخي.. فإني مصغ إليك.

قلت: أتشعر بالأمن في دعوتك إلى الله؟

قال: الأمن كله ولله الحمد.. أنت تعلم أن حكومتنا تدعو إلى الإسلام.. وتكفل الحرية لدعاته.. بل هي تناصرهم وتمكّنهم من دعوتهم وما تحتاج إليه من جمعيات ومؤسسات وهيئات... وتتبع هذا كثيراً بالدعم المالي...

قلت: .. ولا شك في أنك تعلم أن ملايين المسلمين.. في أقطار مختلفة.. لا ينعمون بهذا الأمن الذي ننعم به في الدعوة إلى الله.. ولا يجدون ما نجده من تأييد ودعم.. مع حرية وتمكين.

قال: أنت على حق.

قلت: وهم يصبرون على هذا، ويحتسبونه عند الله، ويبتغون من ورائه الأجر.

قال: .. ولكن ما صلة كلامك.. بما أعانيه من زوجتي.

قلت: ملايين ملايين المسلمين يصبرون على السكن غير المناسب.. أو على فقدانه كله.. ويصبرون على قلّة ما في أيديهم من مال.. ويصبرون على الفقر.. ويصبرون على اضطهاد المتسلطين.. أو

على حرمانهم من أوطانهم بعد فرارهم من بطشهم.. عشرات الملايين من المسلمين إن لم يكونوا مئات الملايين يصبرون في هذه الدنيا وهم يطمعون في الأجر الذي وعد به تعالىٰ عباده الصابرين.. فعلام تصبر أنت يا أخي.. وترجو من الله الأجر عليه؟

صمت صديقي.. وهو ينظر إليَّ سارحاً متأملاً متفكراً... ثم ابتسم وكأنه فطن إلىٰ غاية كلامي وسؤالي فقال:

أنا أصبر على زوجتي!

قلت: وهو صبر لك فيه من الأجر الكثير إن شاء الله.. إن احتسبته عند الله. ألا أقص عليك تلك القصة التي حكاها الإمام ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر؟

قال: تفضل.

قلت: قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك؟ قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فأبىٰ. فجاءتني امرأة فقالت: ***يا أبا عثمان إني***

قد هويتـك . . وأنا أسألك بالله أن تتزوجني . فأحضرت أباها . . وكان فقيراً . . فزوّجني وفرح بذلك . . فلما دخلتْ إليَّ . . رأيتها عوراء عرجاء مشوّهة . وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج . . فأقعد حفظاً لقلبها . . ولا أظهر لها من البغض شيئاً . . وكأني على جمر الغضا من بغضها ، فبقيت هكذا . . خمس عشرة سنة حتى ماتت . . فما من عملي هو أرجى عندي من حفظي قلبها .

قال: وبم وصف ابن القيم صبر أبي عثمان النيسابوري؟

قلت: لقد قال: (إن هذا من عمل الرجال) .

قال: سبحان الله .

قلت: لقـد وعد تعالىٰ على الصبر وعداً حسناً، حتى تجاوزت الآيات الكريمة التي تحث على الصبر، وتثني عليه، وتعد الصابرين . . . السبعين آية في القرآن الكريم . أأتلو عليك بعضها؟

قال: ليتك تفعل .

قلت: قال تعالىٰ :

﴿سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبىٰ الدار﴾

[الرعد: ٢٤].

وقال سبحانه:

﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦].

وقال تعالى:

﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [هود: ١١].

وقال جل شأنه:

﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦].

وقال تعالى:

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ [المؤمنون: ١١١].

وقال سبحانه:

﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال تعالى:

﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ [القصص: ٥٤].

وقال سبحانه :

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾

[السجدة: ٢٤].

وقال عز من قائل :

﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٥].

وقال تعالىٰ :

﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ [الإنسان : ١٢].

وقال سبحانه :

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠].

وقال تعالىٰ :

﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾

[لقمان: ١٧].

وغيرها من الآيات الكريمة التي حملت البشارة للصابرين :

﴿وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦].. وغيرها.. وغيرها..

قال: على الرغم من كثرة قراءاتي وتلاوتي للقرآن الكريم، فإنك بجمعك لآيات الصبر معاً.. نبّهتني إلى قيمته ومكانته.. وعظم الأجر الذي وُعد به الصابرون.

قلت: أفلا ترغب في أن يكون لك من أجر الصابرين نصيب؟

قال: بلى والله.

قلت: ***أما وإنك ـ ولله الحمد ـ تنعم بسكن ولا تصبر على فقده، ويفيض المال بين يديك ولا تصبر على فقر، وتتاح لك الدعوة إلى الله ولا تصبر على حاكم يطاردك... فاحمد الله على أن أتاح لك فرصة الصبر على امرأتك.***

قال: إنك على حق.

قلت: ولو نظرت إليها على أنها مصدر أجرٍ لك.. بصبرك على ما يصدر عنها.. لحرصت عليها... ولم تتضايق من مشاكستها لك.. بل ربما رغبت في هذه المشاكسة.. لإدراكك أنك بصبرك على هذه المشاكسة.. تحظى بالأجر والثواب.

قال: لقد جلوتَ همي.. وأرحتَ بالي... وسأصرف عن عقلي فكرة طلاقها... وإني لأدعو الله أن يعينني على هذا.

قلت: ...وزد يا أخي من شغل نفسك بعملك مساء في الجمعيات الخيرية.. ومشاركتك الطيبة فيها..

ثم قلّل من جدالك لزوجتك، ولا تكرر تهديدك لها بالطلاق، وأشعرها، بصورة غير مباشرة، أنك معلق بالآخرة، وأن همّك منصرف إلى هذه الجمعيات الخيرية ـ كما هو حالك فعلًا ـ.. فتطمئن إليك ولا تخشى من فيض المال بين يديك..

قال: .. وهذا خير لأولادي أيضاً...

قلت: أصبت.. وبخاصة أنك ذكرت لي أنها لأولادها أحسن ما تكون.. فلماذا تبعدهم عنك زمناً... ثم تبعدهم عن أمهم ـ بعد انتهاء حضانتهم ـ زمناً آخر...

قال: ألم أكن على حق في قصدي لك وتوجهي إليك... لقد كنت أبحث عن هذا. وصدق رسول الله ﷺ: ***«ما خاب من استخار. وما***

ندم من استشار». أخرجه الطبراني بسند ضعيف.

قلت: ليت الأزواج جميعهم مثلك.. يسرعون في الاستجابة للنصيحة..

قال: لا تنسني يا أخي من دعوة بظهر الغيب.. أن يشرح الله لي صدري.. ويصلح لي زوجي.

قلت: أفعل إن شاء الله.

حزم في لين

حزم في لين

تعود معرفتي به إلى عهد الطفولة. كان رقيقاً في طبعه، رفيقاً في عشرته، . عفًّا في لسانه، لطيفاً في تعامله. يكره الجدل ويبتعد عنه ابتعاد الصحيح من المجذوم، لم يكن يختلف مع أحد، يحاور بهدوء، فإن وافقه الرأي أظهر تأييده له، وأوضح وجهة نظره فيه، وإن خالفه آثر الصمت. . . حتى لا يخوض في جدال لا يحبه.

كان الاطمئنان شديد الظهور في وجهه، لاستقراره في قلبه ونفسه، ورضاه المطلق بكل ما يقدره الله له. لم أسمعه يوماً يشكو من شيء، أو يتبرم من حال.

من لطائفه أنه كان يقرض كل من يستقرض منه، ولا يرد أحداً، وما علمت أنه اقترض من أحد، أو طالب أحداً بما أقرضه. . فإن رد المقترض ما اقترضه منه أخذه وهو يستمهله: (إن كانت لك فيه حاجة. . فاتركه عندك إلى وقت آخر).

جميع من عرفت من أصدقائه وزملائه كان يحبه، فما كانت له رغبة عند أحد، زاهداً بما في أيدي الناس، قلّما يسأل حاجة أو يطلب طلباً.

ولعل هذا كله يفسر الاطمئنان والرضا اللذين كانا لا يفارقانه... اللهم إلا في حالة واحدة. كنت أرى فيها علامات قلق خفيف تعلو وجهه المطمئن. تلكم هي الحالة التي كان يتحدث فيها الشباب المتزوجون أمامه عن مشكلاتهم الزوجية، ومعاناتهم من عدم انقياد زوجاتهم لهم، وتذمرهم الدائم من الحياة الزوجية، وغيابهم شبه المستمر عن البيوت.. هرباً من المشاجرات التي تنغّصهم.. وتعكّر أمزجتهم... وأحسب أن هذا القلق كان وراء تأخر زواجه إلى ما بعد الثلاثين من عمره.

كلنا كنا نتوقع له حياة زوجية سعيدة... لأخلاقه وطباعه التي أشرت إليها، من رفق ولطف وكراهية جدل.

ولقد صدق ما توقعناه حقاً، فقد كان بعد زواجه أكثر اطمئناناً ورضى، يؤثر الجلوس في البيت على ما سواه.. وكثيراً ما يعتذر من صحبه عن الإطالة في سهرة أو

غيرها . . ليعود إلى البيت بلهفة ظاهرة .

لهذا كله . . وقع خبرٌ همس به في أذني أحد الإخوة . . وَقْعَ الصاعقة علي. لقد أخبرني أن صاحبي يوشك أن يطلّق زوجته!

«كلهم يمكن أن يطلق زوجته إلا هو». هذا ما تردد في نفسي، وربما تردد على لساني، إثر همس الهامس في أذني بهذا الخبر المفاجىء حقاً!

أسرعت في الاتصال بصاحبي، وأخبرته برغبتي الملحة في زيارته . . . الآن إن أمكن. رحّب بي غاية الترحيب، في لطفه ومودته المعهودين.

لم تمض ساعة إلا وكنت معه في بيته .

قلت: لم أصدق ما سمعت .

قال: وما سمعت؟

قلت: تريد أن تطلق زوجتك؟

قال: (بعد صمت قصير) أرجو ألا يصل الأمر إلى الطلاق .

قلت: إذن ثمة خلاف شديد .

قال: لا أدري بما أصفه . . . لكنه خلاف على أي حال .

قلت: متى بدأ؟

قال: قبل عام . . ووصل مداه هذه الأيام؟

قلت: أأنت تختلف مع أحد . . ؟!!

قال: يبدو أنني لا أفهم النساء . . . !

قلت: لكنك اشتهرت بحب زوجتك وبيتك . . وتعلقك الشديد بطفلتك الصغيرة . . وكنا نتحدث عن سعادتك ونجاح زواجك .

قال: هذا ما بدالي في السنتين الأوليين . . . لكن ما أدري ماذا جرى في السنة الثالثة؟

قلت: هل أستطيع أن أعرف ما يمكن من تفاصيل عن هذه الخلافات؟

قال: صدقني يا أخي أني لم أقصّر في واجب من واجبات البيت . . ليس هناك طلب خاص لم أُلبِّه لها . . . أترك لها حرية التصرف في كل شيء . . . مرتبي أسلّمه لها لتعطيني منه وتنفق على البيت وتوفّر منه ما توفر . . .

لا أذكر أني خالفتها في أمر . . . أو نازعتها على

شيء... أنت تعرف طبعي.. أكره الجدال ولا أحبه. أخيّرها في كل شيء.. تسألني ماذا تريد أن تأكل اليوم.. أقول لها اطبخي ما شئت... لم أمنعها يوماً من زيارة أهلها... حتى تقصيرها في كثير من واجباتها نحو بيتها ونحوي.. أتغاضى عن كثير منه.

قلت: (وقد بدأت أمسك بخيوط المشكلة): كيف نشأ الخلاف إذن؟

قال: تقدّر هذا كله... صارت إذا طلبتُ منها شيئاً لا تفعله... ردودها في الكلام قاسية. تثور لأتفه الأسباب.. تصرخ دائماً قائلة: لقد مللت.. مللت.. مللت. كثيراً ما تصب جام غضبها على ابنتي الصغيرة.. فأتصدى لها.. وأمنعها.. لا أخفي عليك أني ما عدت أصبر على سلوكها وتغيرها.. وصرت أصرخ فيها كما تصرخ هي.. حتى كان ما كان قبل أيام..

قلت: ماذا حدث؟

قال: لقد صفعتها بكل ما أوتيت من قوة.

قلت: وأين حلمك؟

قال: اتقوا ثورة الحليم.

قلت: ولِمَ صفعتها؟

نظر في عيني صامتاً. وأدركت أنه يتحرج من البوح بالسبب.

قلت: لعلها جرحت شعورك بعبارة.

قال متحسا متألما: فعلاً.. ثرتُ عليها لأنها ضربت ابنتي ضرباً مبرحاً إثر كسرها كأساً.. وصرختُ فيها: لماذا تضربينها؟ فردت: لأنه ليس في البيت رجل يربّيها...! فلم أملك إلا أن هويتُ على وجهها بكفي.. بكل ما اشتعل في نفسي من غضب.

أردف وقد تهدج صوته: أي تربية تلك في ضرب طفلة لم تتجاوز السنتين؟!

قلت: وماذا حدث بعد ذلك؟

قال: انطلقت غاضبة إلى بيت أهلها وهي تصرخ: طلّقني.. لا أريد العيش معك..

قلت: وما زالت هناك؟

قال: أجل؟

قلت: منذ متى؟

قال: منذ يوم أمس.

قلت: هل تسمح لي بمصارحتك؟

قال: قل ما شئت.

قلت: أنت ساعدتها في الوصول إلى هذه الحال.

قال: أنا..؟!

قلت: لا يختلف اثنان في رقة طبعك، ودماثة لسانك، ولطف معشرك، ورفق تعاملك... وهذا والله من الخلق الحسن الذي يرضاه الله ورسوله، ويعدان صاحبه بالثواب العظيم في الآخرة، والمرأة تحب هذه الصفات وترضاها.. لكنها تريد معها شيئاً آخر!

قاطعني: ماذا تريد؟

قلت: تريد مع رقة طبعك حزماً، ومع دماثة لسانك حسماً، ومع لطف معشرك عدم تردد، ومع رفقك بها قوة ظاهرة مسيطرة. هكذا خلق الله المرأة.. ولهذا جعل سبحانه للرجل القوامة عليها...

قال: وماذا كان عليَّ أن أفعل؟

قلت: كان عليك منذ بداية زواجك أن تقرر أنت كل شيء.. لا بأس من مشورتها وأخذ رأيها... لكن صدور القرار يجب أن يكون منك.. حتى ولو كان موافقاً لرأي زوجتك...

كان عليك ألا تخيّرها في كل شيء.. وأن تختار أنت كثيراً من الأشياء.. لماذا كنت تخيرها في طبخ ما تريد؟ لماذا لا تقول لها: نفسي اليوم في أكلة كذا؟ لماذا تلبي لها كل ما تطلب..؟ ألم تكن هناك أشياء لا حاجة لها؟ لماذا لا تقول لها: لا؟ إن كلمة «نعم» دائماً.. وعبارة «افعلي ما شئت».. و«كما تحبين»... قد تُرضي المرأة في البداية... لكنها مع الزمن تجعلها تسأم وتضيق... وتشعر أن حاجتها إلى رجل يأمرها وينهاها.. لم تُلبَّ.

واستمع يا أخي إلى ما وصل إليه ***نائب رئيس معهد العائلة في كاليفورنيا والأستاذ المساعد للتحليل النفسي في جامعتها***؛ بعد مجموعة من الدراسات التي أجراها والخبرة التي حصل عليها خلال عمله الطويل في التحليل النفسي، إنه يلخص ما وصل إليه بقوله: ***«ما زالت المرأة***

تبحث عن القوة والكفاءة في الرجل الذي تفضله لحياتها».

وتأمل كلماته التالية *«كثيراً ما أسأل المرأة عن أحاسيسها حين تلتقي رجلاً حساساً، وشديد العناية، ومتفتحاً.. وهي الصفات التي قيل إن المرأة ترغب فيها خلال السنوات الأخيرة.. لكني أفاجأ بأن المرأة لا تحب هذا النمط من الرجال.. لأنه لا يشعرها بالراحة.. بل إنها تشعر أنها ليست مع رجل حقيقي»*.

قال: سبحان الله.

قلت: يضيف هذا الخبير، وهو **الدكتور لارتون شيفتر**، أنه سأل النساء فيما إذا كُنَّ على استعداد لقبول الانفتاح والمبادرة في الرجل بدلاً من القوة والكفاءة فقلن جميعاً: *نريد القوة والكفاءة قبل أي شيء آخر*.

قال: وهل كان عليَّ أن أتخلَّى عن رفقي وليني؟

قلت: لم أقل هذا، النبي عليه الصلاة والسلام يقول «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزِع من شيء إلا شانه». وأنا لم أَدْعُكَ إلى التخلي عن الرفق.. إنما دعوتك لتجعل رفقك في قوّة، ولينك في حزم،

ورقتك في حسم...

قال: أجمع بين المتناقضات؟!

قلت: **ليست تناقضات. ولأعطك مثلاً: ألم يمرّ بك.. وأنت على مقاعد الدراسة.. معلم لا يسمح لتلميذ من تلاميذه بالخروج على النظام.. وتجاوز الحد.. دون أن يضربهم أو يعاقبهم؟ يعلمهم ويوجههم دون أن يصرخ فيهم ويغضب منهم؟ يلزمهم بطاعته وهم يحبونه؟**

قال: ..كثيرون من المعلمين كانوا كذلك..

قلت: لو افترضنا أن هذا المعلم.. تساهل في محاسبة تلاميذه على عدم كتابة واجباتهم.. أو حفظ دروسهم.. أما كانوا سيهملون، مع الأيام، إلا قليلاً منهم؟ أو أنه ترك لهم حرية العبث في الفصل.. والحديث أثناء شرح الدرس.. أما كانت الفوضى ستعم الفصل ويصعب ضبط التلاميذ؟

قال: صحيح.

قلت: وهكذا يحسن أن يكون الزوج. غير متساهل في

تقصير زوجته في حق الله، أو في حقه. يأمرها بكل معروف.. وينهاها عن كل منكر. لا يترك لها الأمر على هواها.. ويشعرها بوجوده في كل شأن.. وبضرورة موافقته على كل أمر ذي بال...

قال: أي أني سأفتح جبهة في البيت..! إني والله لا أحب هذا.. لماذا لا نجعل الأمور هينة يسيرة.. كانت حياتنا في البداية سعيدة.. ولم نكن بحاجة لهذا.. فلماذا الآن؟

قلت: ***للحياة الزوجية بهجة في بدايتها تغطّي كثيراً من السلبيات.. التي لا تظهر إلا بعد مرور فترة طويلة نسبياً على الزواج.. والجبهة التي لا تريد أن تفتحها في البيت.. أنت الذي أخذت بأسبابها.. وأوصلتك إلى هذه الصفعة على خد زوجتك...***

قال: سأحاول أن أغيّر من طبعي ما استطعت.. وأن أكون حازماً آمراً ناهياً مقرراً لكل شيء في البيت.. حسن هذا؟

قلت: دون أن تتخلى عن رفقك ولينك؟

قال: وهل أستطيع أن أتخلى عنهما؟

قلت: ومتى ستبدأ بتطبيق الحزم والأمر والنهي؟

قال: فور أن أعيد زوجتي إلى البيت!

قلت: ماذا قلت؟

قال: فور أن أعيد زوجتي؟

قلت: بل قبل ذلك!

قال: ماذا تعني؟

قلت: الحزم يقتضي ألا تعيدها أنت.. بل أن تأتي هي بنفسها.. لأنها خرجت بنفسها.

قال: لكني صفعتها.

قلت: مهما يكن.. فما كان عليها أن تخرج من بيتها دون إذنك.

قال مبتسماً: والله شيء جميل...

أردف: ولكن.. إذا لم ترجع؟

قلت: سترجع أو يرجعها أبوها.

بعد ثلاثة أيام اتصل بي قائلاً: أبشرك.. لقد عادت.

قلت: لا تنسَ ما اتفقنا عليه.

قال: إن شاء الله.

بعد ستة أشهر، كان في زيارتي، طمأنني بأن حياته عادت أسعد ما كانت عليه، وكان مما قاله لي:

- هل تصدق ماذا قالت لي زوجتي قبل أيام.. في جلسة مودة جمعت بيننا؟

قلت: هات أخبرني.

قال: لقد قالت إنها على الرغم من أنها تألمت من الصفعة التي هويت بها على وجهها، وكراهيتها لي في تلك اللحظات، إلا أنها أحست لأول مرة برجولتي!

قلت ضاحكاً .. ولكن احذر أن يدفعك هذا إلى تكرار الصفعة!

قال ضاحكاً أيضاً اطمئن.. فقد جعلت كلامك شعاراً لي: حزم في لين.. وشدة في رفق..!

أربع عقد

أربح عقد

أبرزُ صفةٍ عُرف بها صديقي أبو أحمد هي «الجِد»، وأظهرُ خلق لازمه هو العمل الدؤوب. ولهذا فقد كان من الأوائـل دائماً في جميع مراحله الدراسية. قليل اللعب واللهو، بل لعل اللعب واللهو لا يعرفانه ولا يعرفهما.

ورافقه جده في حياته الدراسية، مع حياته العملية، بعـد التخـرج في الجامعة، ولهذا سرعان ما ارتقى في المناصب؛ حتى صار مدير الشركة التي بدأ العمل فيها، ونال ثقة أصحابها الذين أعطوه كثيراً من الصلاحيات التي زادته حباً لعمله وإخلاصاً فيه، إلى درجة كان فيها يستمر في العمل حتى بعد ساعات انتهاء الدوام الرسمي، بل كان يأخذ كثيراً من الأوراق والملفات إلى بيته. ولم ينس أصحـاب الشركـة جهـده هذا.. فكـانـوا يجزلون له المكافآت، وكانت تتوالىٰ في مرتبه الزيادات.

قالت لي زوجتي يوماً، وكانت صديقة حميمة لزوجته،

إن أم أحمد تشتكي انشغال زوجها الدائم عنها، وانصرافه شبه التام إلى عمله، وإيثاره له على كل أحد، وكل شيء، وإنها لترجو أن أكلّم زوجها بما ينبهه إلى تقصيره تجاه أهله وبيته؛ دون أن يعلم مني أنها هي التي اشتكت منه هذا.

في اتصالي به؛ للاتفاق معه على زيارته في بيته، حدثني عن مشاغله الكثيرة، وفراغه القليل، ولم أظفر منه بموعد لزيارته في بيته، ولم أجد بُدّاً عن القبول بزيارته في مكتبه في الشركة.. ولكن في غير ساعات الدوام الرسمي.. حتى لا أكون مثل أولئك الذين يزورون الناس في أماكن عملهم.. ويأخذون من أوقاتهم؛ في قضايا لا صلة لها بالعمل.

زرته في الموعد، وجلست معه أتحدث إليه ويتحدث إليَّ، في العمل، وفي غير العمل... ثم قلت له:

ـ ألا تتضايق زوجتك من طول غيابك عن البيت.. وكثرة انشغالك عنها؟

قال: ولماذا تتضايق..؟

قلت: حاجات البيت كثيرة.. فمن يلبيها؟

قال: أمام بيتنا بقالة فيها كل شيء. . ليس على زوجتي إلا أن تتصل بالهاتف وتطلب ما تحتاجه منها. . ليكون عندها بعد دقائق. . وأنا أحاسب صاحب البقالة كل شهر. . ولا أسألها عن شيء اشترته: لم اشترته؟!

قلت: هل هذا كل شيء؟

قال: لعلك تقصد الأولاد؟ سيارة بسائقها رهن إشارتهم في أسفل البيت. . يأخذهم إلى حيث يريدون. . و يوصلهم إلى أبعد ما يتوقعون.

قلت: ما أردت هذا. . !

قال: أي شيء إذن؟

قلت: أنت حدثتني عن الجانب المادي وأنا. . .

قاطعني: *وأنت تسأل عن الجانب غير المادي. . . أحمد منتسب إلى ناد رياضي يمارس فيه هوايته في لعبة كرة القدم. . وعبدالرحمن يشبع هوايته في القراءة وعنده مكتبة أشجعه على إغنائها بالكتب دائماً. . وفاطمة منتسبة إلى جمعية «. . . .» الدينية. . وهي تملأ وقت فراغها فيها. . كما أنها تتلقى التوجيه الديني اللازم.*

قلت: . . وزوجتك؟

قال: زوجتي لا هواية لها. . اللهم إلا تربية الأولاد.

قلت: إذا كان أحمد يذهب إلى ناديه الرياضي. . وعبدالرحمن يجلس في مكتبته يقرأ. . وفاطمة تذهب إلى جمعيتها. . وأنت تعمل في الشركة بعد الظهر أيضاً. . فكيف تقضي أم أحمد وقتها في البيت وحدها. . ؟

قال: تشاهد التلفزيون. . تقرأ. . تزور جاراتها. . تزورها صديقاتها. . . الخيارات أمامها كثيرة. . !

قلت: أهذا كل شيء؟

قال: ماذا تريدني أن أفعل لها؟

قلت: متى سابقتَ زوجتك آخر مرة. . ؟

(نظر إليَّ والدهشة والاستغراب يملآن وجهه لهذا السؤال المفاجىء له).

قال: متى سابقتُ زوجتي آخر مرة؟!!

قلت: أجل. . متى سابقتها آخر مرة؟

(صمت لحظات وكان كمن يبحث عن جواب).

قال، أبعد هذا العمر يا أخي؟

قلت، تعني أنك سابقتها حين كنت أصغر؟

قال، أصدقك القول.. لم أسابقها قط..!

قلت، ولكن رسول الله ﷺ سابق أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.. وسنه قد تجاوزت الخمسين.. هل تجاوزت سنك الخمسين يا أبا أحمد؟

قال، أنت تعرف يا أخي كثرة انشغالي ومسؤولياتي.

قلت، ***لن تكون أكثر انشغالاً ومسؤوليات من نبي الله ﷺ وهو يحمل رسالة الله الخاتمة إلى العالمين.. ولم يمنعه هذا أو يشغله عن مسابقة زوجه مرتين.***

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، وهي جارية (أي صغيرة السن). قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن (أي لم تكن سمينة). فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا. ثم قال: ***تعالي أسابقك!*** فسابقتُه، فسبقتُه على رِجْليَّ. فلما كان بعدُ. وفي رواية فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم (أي سمنت) وبدنت ونسيت، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا،

فتقدموا، ثم قال: «*تعالي أسابقك*» ونسيتُ الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله.. وأنا على هذه الحال؟ فقال لتفعلن. فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: «*هذه بتلك السبقة*».

رواه أبو داود والنسائي وأحمد في المسند.

قال: صلى الله عليه وسلم.. ما أعظم خلقه، كم نحن بعيدون عنه!

قلت: ولماذا لا نقترب منه وهو أُسوتنا. ألم يقل لنا رب العزة جل شأنه: ﴿***ولكم في رسول الله أسوة حسنة***﴾؟

قال: بلى. ولكن أين أسابق زوجتي اليوم؟ في الشارع؟ أمام الناس؟ أم في السفر، كما فعل رسول الله ﷺ، والسفر اليوم ما عاد مثل سفر الأمس البعيد؟!

قلت: ألم تخرج مع زوجك وأولادك إلى خيمة نصبتها في البر. بعيداً عن أعين الناس..؟ ألم تكن الفرصة مواتية لإجراء مثل هذه المسابقة؟ ثم أريد أن أسأل: أليست هناك مسابقات أخرى، غير

الجري، تسابق بها زوجتك؟

قال: مثل ماذا؟

قلت: مثل لعبة شطرنج، أو مسابقة ثقافية تطرح فيها عليها أسئلة، أو غيرها... فالغاية ليست نوع المسابقة.. إنما الغاية هي التواصل مع زوجتك... في غير قضايا الحياة الجادة ومسؤولياتها.. لتضفي جواً من المرح والمودة على علاقتك بها.

قال: يبدو أنني كنت غافلاً عن هذا كله.

قلت: كم تحادث زوجتك كل يوم؟

قال: (بعد تفكير قصير): ربما ربع ساعة.. نصف ساعة أحياناً.. أنت تعلم مسؤوليات الشركة.

قلت: أتحادث زوجتك نصف ساعة يومياً؟

قال: بعض الأيام.

قلت: وبم تحادثها؟

قال: تعلم...

قلت: عن الشركة وما تحققه فيها من نجاح؟

قال: وماذا عندي غير الشركة؟

قلت: أنت تحدثها عن الشركة.. لا تحادثها.. لأن المحادثة تقتضي المشاركة.. تحدثها وتحدثك. وقد لا يهم زوجتك حديثك عن الشركة قدر ما يهمك أنت!

قال: عم أحدثها إذاً؟

قلت: أي حديث مرح خفيف.. تشيع فيه روح المودة.. وتتخلله المداعبة..

قاطعني قائلاً: المداعبة؟!

قلت: وما يمنع؟

قال: أتريد أن تهدم جدار احترام زوجتي لي.. وتضيع بقية هيبة في نفسها لي!

قلت: لماذا لا تعود معي إلى أُسوتنا؟!

قال: صلى الله عليه وسلم.

قلت: كان يرخّم اسم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيقول لها: «يا عائشُ». ويجعل ملاعبة الرجل امرأته أول أربعة ليست من اللهو المنهي عنه. يقول ﷺ: ***«كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب. إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته ـ وتأديب الرجل فرسه ـ ومشي الرجل بين***

الغــرضـين (أي الهـدفـين، ويراد به الـرمـاية والسباق. .). ***وتعليم الرجل السباحة»***. حديث صحيح رواه النسائي.

قال: لقـد جعل ﷺ ملاعبة الرجل زوجته في المرتبة الأولىٰ من الأربعة التي حثّ عليها.

قلت: . . وتـأمـل أيضاً هذا الحديث الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. تقول: قال لي رســول الله ﷺ: ***«إني لأعـلم إذا كنـت عني راضية. . وإذا كنت عليَّ غضبىٰ»!*** فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: ***«إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد. . . وإذا كنت عليَّ غضبىٰ قلت: لا ورب إبـراهيم»***. أخـرجـه البخاري وغيره.

قال: إنه ﷺ يتودد إليها في هذا الحديث.

قلت: ***أرأيت؟ ثم لاحظ أن فيه إشارة إلى أن السيدة عائشة رضي الله عنها كثيراً ما تكون غضبىٰ عـلى النبي. . . ولا يجد النبي ﷺ أي حرج أو رفض لهذا. . بل ربما أن النبي ﷺ حدثها بهذا الحديث***

في حالة من حالات غضبها ليخرجها منه ويسترضيها. ألم تلحظ أنه لم يخبرها مباشرة بعلمه بكل حال من حالها... بل أثار فيها فضول المعرفة لتسأله هي: من أين تعرف ذلك؟

قال: إنها حقاً أخلاق نبي.. وحكمة نبي.

قلت: لكننا مدعوون للتخلق بهذه الأخلاق.. والاقتباس من هذه الحكمة.

قال: مسكينة زوجتي... لقد حرمتها من هذه الملاطفة والملاعبة التي علّمنا إياها النبي ﷺ.. كانت حياتي معها جادة كل الجد...

قلت: عفا الله عما سلف.. عوّض عما فات يا أخي.

قال: ولكن كيف يا أخي..؟ كيف أنقلب مرة واحدة من تعاملي الجاد معها.. إلى الملاعبة والملاطفة؟ ألن تتساءل زوجتي: ماذا جرى للرجل..؟ ألن تستنكر مني؟

قلت: هناك كثير من الأمور يمكن أن تفعلها في مرحلة الانتقال من جفافك القديم.. إلى ربيعك الجديد.

قال: تفضل.

قلت: كيف طبخ زوجتك؟

قال بحماسة: لن تذوق في حياتك أطيب منه.. أكلت في مطاعم كثيرة في مختلف أنحاء العالم أثناء سفراتي في أعمال للشركة.. لم أجد أطيب مما تطبخه زوجتي. وسأدعوك إلى الغداء لتذوق بنفسك.

قلت: شكراً سلفاً... ولكن هل أثنيت على طبخ زوجتك ما دامت تجيده إلى هذا الحد؟

(رفع حاجبيه وقد فطن إلى ما أردته من سؤالي عن طبخ زوجته).

قال: أذكر أني قلت لها مرة: أنت يا أم أحمد تتقنين الطبخ جيداً.

قلت مستنكراً: مرة واحدة.. و«يا أم أحمد»...؟!! لماذا لا تخاطبها باسمها؟ وكيف تثني على طبخها مرة واحدة وأنت تعترف بأنك لم تذق مثله في مطاعم العالم كلها؟ لماذا هذه العبارة المختصرة الجامدة.. وكأنك تذكر نتيجة علمية: «أنت يا أم أحمد تتقنين الطبخ جيداً»!!!

قال: (وقد ظهر عليه بعض خجل ممزوج ببعض حرج):

وماذا كان عليَّ أن أقول؟

قلت: ***كان عليك أن تقول هذه الحقيقة عشرات المرات. . وبعبارات كثيرة مبهجة مفرحة لزوجتك. كان عليك إثر كل عودة من سفر من أسفارك أن تقول لها وأنت جالس إلى مائدة الطعام: صدّقيني يا (وتذكر اسم زوجتك. .). . أني لن أجد، من يطبخ أطيب منك. . . كنت أفتقد أكلاتك اللذيذة هناك. . .*** ما رأيك لو تكتبين طرائق طبخك لنجمعها لك في كتاب تستفيد منه باقي النساء. . ولكن لا. . ليست القضية قضية طريقة وكميات. . . القضية قضية فن ونَفَس. . . حتى لو عرفوا الطريقة منك. . فمن أين لهم أن يحصلوا على نَفَسك في الطبخ. . .

والتفتْ إلى ابنتك فاطمة وقل لها: تعلّمي من أمك يا فاطمة. . تعلّمي منها طرائق الطبخ. . ولازميها لتأخذي منها هذا النفس. . أريد أن يستطيب زوجك في المستقبل طبخك. . كما أستطيب طبخ أمك. . .

قال: سيسرها هذا الكلام كثيراً ويملأ قلبها بهجة

وسعادة . .

قلت: وهل يقلل هذا الكلام من اهتمامك بالشركة وعملك فيها . . ؟

قال: لا . . أبداً.

قلت: لعله يأخذ من وقتك!

قال: أي وقت يأخذه وأنا جالس إلى مائدة الطعام!!

قلت: **كلام طيب . . لا يكلفك مالاً . . ولا يأخذ من وقتك . . ولا ينقص اهتمامك بعملك . . . وفي الوقت نفسه يدخل المسرة والبهجة والرضا إلى نفس زوجتك . . . ماذا كان يمنعك من قوله؟**

قال: (وهو يحك بيده أعلى جبهته) لعله النسيان . . أو الإهمال . . أو انشغال البال في العمل . . . أو . . والله لا أدري ما أقول لك . . ! لكني أعدك أن أبدأ غداً بالتغيير . . وحين أجلس إلى مائدة الغداء . . سأردد تلك العبارات المادحة لطبخها الرائع . .

قلت: لا ترددها ترديداً . . اجعلها نابعة من قلبك . . ولا تتقيد بألفاظ محددة . . ثم لماذا تقصر ملاطفتك لزوجتك على ثنائك على طبخها؟ لقد ضربتُ

الثناء على طبخها مثلاً أظهر لك فيه مجالاً من المجالات الكثيرة لمحادثة زوجتك وإدخال البهجة إلى نفسها.

قال: وماذا غير الثناء على طبخها؟

قلت: ***الثناء على لبسها... على شكلها.. على حسن رعايتها لأطفالها وتربيتها لهم.. على ذوقها في ترتيب البيت.. على إخلاصها لك.. على صبرها على بعدك عنها طوال النهار... ما أكثر المناسبات التي تحدث فيها زوجتك بالكلام الطيب.. وتُسمعها فيها الثناء عليها... والرضا عنها..***

قال: يبدو أن جلستنا هذه ستتكرر، لتشرح لي بالتفصيل ما أقوله في كل مناسبة من هذه المناسبات.. أريد أن أعوّض أم أحمد عن السنوات الماضية..

قلت: على الرحب والسعة... لكنني متفائل بأنك لن تحتاجني كثيراً في المستقبل... لأن الكلمات ستجر بعضها... والنتائج الطيبة ستشجعك على المزيد.

قال: هذا ما أرجوه.

قلت: يبقى شيء يبدو أنني نسيت أن أذكرك به . .

قال متلهفاً: قل لي . . .

قلت: إن كلامك الطيب لزوجتك . . ومسامرتك لها . . لن تكسبك مودتها فحسب . . بل ستربحك أيضاً . . كما يربحك عملك في الشركة مرتباً عالياً وعلاوات متتالية .

قال فرحاً: كيف؟

قلت: ***لقد أخبرنا الحبيب ﷺ أن الكلمة الطيبة صدقة ، وأن اللقمة التي تضعها في فم زوجتك صدقة ، . . . بل حتى تلبية شهوتك في زوجتك صدقة . . . فانظر أي رصيد من الحسنات يدخره لك ربك يوم القيامة . . . من إحسانك لزوجتك فقط . . .***

قال: ما أكرمك يا رب وما أعظم عطاءك . . .

قلت: اتفقنا على التغيير .

قال: اتفقنا .

مرض..
من غير إجازة

مرض.. من غير إجازة

قال: أعرف لك خبرة بالمرأة ومعرفة بطباعها.

قلت: إنما هي قراءات واطلاعات ومتابعات لشؤونها. على أي حال فإني أشكر لك هذا الظن بخبرتي ومعرفتي بطباعها.

قال: أريد أن أسألك عن مثل عامي شائع في بلدنا.. إن كان يصف طبعاً من طباع المرأة أو حالاً من أحوالها.

قلت: وماذا يقول هذا المثل؟

قال: «المرأة كالسجادة.. تحتاج كل شهر إلى نفضة».

قلت: وهل وجدت أثراً لهذا المثل في زوجتك؟

قال: أتريد الحق: نعم. وجدت فيه انطباقاً كبيراً عليها.

قلت: هكذا أغلب النساء.. فلا تقلق.

قال: أغلبهن يحتجن إلى هذه «النفضة»؟

قلت: على العكس تماماً. إنهم يحتجن إلى حلم مضاعف

من الزوج وصبر أجمل عليهن.

قال: ولكنك قلت: هكذا أغلب النساء!

قلت: ***إنما عنيت أن أغلب النساء يصدر عنهن كل شهر ما يثير غضب أزواجهن عليهن... إنما لا يستدعي هذا العقاب الذي شبّهته بـ «النفض» للسجاد.***

ضحك وقال: ماذا يستدعي إذن؟

قلت: كما أخبرتك. يستدعي مزيداً من حلم الرجل وصبره.

قال: وما معنى كل شهر. ولماذا ليس كل شهرين؟

قلت: وهل تحيض المرأة كل شهرين أم كل شهر؟

قال: وما شأن حيضها بما نحن فيه؟

قلت: له كل الشأن. لأن ما يثير غضبك كل شهر إنما يوافق موعد ما يسمّى بالدورة الشهرية. ولو راقبت هذا بانتباه لوجدته صحيحاً.

قال: (وقد رفع عينيه وكأنه يسترجع ماضياً) لعلك على حق. ولكن ما صلة دورتها بانقلابها النفسي عليَّ؟

قلت: إنه على صلة كبيرة بها.

قال: كيف؟

قلت: ***لو أصبت بنزف فقدت فيه ربع ليتر من دمك . . أما كنت تولول وتدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور . ولعلك تطلب إجازة من عملك؟***

قال: لعلي أفعل هذا أو ما يشبهه .

قلت: فإن المرأة تنزف مقدار هذا الدم كل شهر ولا يلتفت إليها أحد!

قال: المسكينة .

(لم أتيقن إن كان جاداً في إشفاقه أم ساخراً) .

قلت: وأكثر من هذا .

قال: وماذا أيضاً؟

قلت: تنخفض درجة حرارة المرأة في أثناء الحيض درجة مئوية كاملة . وذلك لأن العمليات الحيوية التي لا تكف في جسم الكائن الحي تكون في أدنى مستوياتها وقت الحيض . وتسمى هذه العمليات بالأيض أو الاستقلاب Metabolism . ويقل إنتاج الطاقة . . كما تقل عمليات التمثيل الغذائي . . وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون والبروتين .

قال: كأنك تريد أن تقول إنها تمرض في دورتها؟

قلت مستأنفاً حديثي: وتصاب الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض فتقل إفرازاته الحيوية الهامة للجسم إلى أدنى مستوى لها.

قال: وهل هناك شيء آخر؟

قلت: *ونتيجة للعوامل السابقة تنخفض درجة حرارة الجسم ويبطيء النبض وينخفض ضغط الدم. ويصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والفتور والكسل في أثناء فترة الحيض.*

(نظرت في صديقي لأرى أثر الكلام في وجهه).

قال: تفضل.. أكمل.

قلت: يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى. وأكثر النساء يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن. وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال.. مما يستدعي استعمال الأدوية والمسكنات، ومنهن من تحتاج إلى زيارة الطبيب من أجل ذلك.

قال: (وقد ظهرت علائم الاقتناع واضحة في وجهه):

ولا شك في أن هذا كله يضغط على أعصاب المرأة فيثيرها ويغضبها.

قلت: صدقت. تصاب المرأة بحالة من الكآبة والضيق في أثناء الحيض.. وخاصة عند بدايته.. وتكون متقلبة المزاج سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال. كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها.

وبعض النساء يصبن بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض. وتكون الآلام مبرحة وتصحبها زغللة في الرؤية وقيء.

قال: إن هذه والله لأعراض مرض!

قلت: ومع هذا فإن «المسكينة»، كما وصفتها، لا تستطيع أن تأخذ إجازة من تلبية طلباتك وطلبات الأولاد.. ومن تبعات البيت وأعماله.. فهل تريدها أن تحتمل هذا كله لترسم ابتسامة دائمة على وجهها... ويتسع صدرها لهذا وذاك وذلك..؟

قال: (وكأنه يعتذر) الإنسان عدو ما يجهل.

قلت: **وعلى هذا.. فإن المثل الذي ذكرته صحيح في شيء وخاطىء في آخر. صحيح في أن المرأة تحتاج كل شهر... وخاطىء في تحديد هذا الذي تحتاجه بأنه «نفضه» كنفضة السجاد.**

المرأة تحتاج على العكس من هذا، إلى مزيد من الحلم عليها، واحتمال أكثر لاهتياجها، وتقبل أفضل لثوران أعصابها، واتساع صدورنا نحن الرجال لها.

قال: ما أجمل وأبلغ قوله تعالىٰ في وصف محيض المرأة بأنه أذى ﴿**ويسألونك عن المحيض.. قل هو أذى**﴾.

قلت: وانظر إلى آثار رحمة الله بالمرأة.. كيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض فأعفاها من الصلاة ولم يطالبها بقضائها.. وأعفاها من الصوم. وأعفاها من الاتصال جنسياً بزوجها وأخبر زوجها بأن الحيض أذى كما جاء في الآية الكريمة التي أشرت إليها.. والآية كاملة تقول:

﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض. ولا تقربوهن حتى يطهرن،**

فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

قال: *سبحان الله. ربما يخفف عنها ما افترضه عليها.. ونحن الرجال لا نرضى في أن تقصر في أي من واجباتها نحونا.*

قلت: ولعل هذا يكشف عن الحكمة في نهي النبي ﷺ عن تطليق المرأة أثناء الحيض.

قال: كم أنا شاكر لك هذا البيان الواضح.. وإني لأرجو أن يعينني الله على أن يتسع صدري لزوجتي أيام حيضها.

قلت: بل ادع الله أن يوسّع صدورنا لزوجاتنا في الأيام كلها.. فنحتمل ما يصدر عنهن، ونحلم عليهن.

قال: *آمين.. آمين.*

حين اختلفت الأولويات عند صديقي فهد

حين اختلفت الأولويات
عند صديقي فهد

تضايقت حقاً حين علمت من صديقي عبدالرحمن أن صديقنا فهداً غير راض عن زوجته، وأن خلافات قليلة نشبت بين الزوجين.

وكان سبب ضيقي معرفتي الجيدة بفهد، وبكمال خلقه، وعفة نفسه، وشدة زهده في الدنيا ومتاعها.

قال لي عبدالرحمن: أرى أن تتدخل قبل أن يستفحل الخلاف.

قلت له: قبل أن نعرف السبب؟

قال لي: حاول أن تسأله.

قلت: هل أسأله: لماذا أنت غير راض عن زوجتك؟ ألا تجد في هذا حرجاً؟

قال: لعلك تعرف السبب من زوجتك. فإن المرأة تُسِرّ أحياناً بما بينها وبين زوجها إلى صديقتها.

قلت: اقتراح صائب.

* * *

قلت لزوجتي: من خلال لقاءاتك بزوجة فهد.. ألم تحيطي بسر عدم رضاه عنها؟

ابتسمت زوجتي وقالت: ولِمَ لَمْ تقل: عدم رضاها هي عنه؟

أعجبني استـــدراك زوجتي وفهمت منـه أنها محيطة بأسباب خلافهما، فقلت مبتسماً أيضاً: حسن. ما سر عدم رضاها عنه؟

قالت: إنها والله لتثني عليه الثناء كله.. ولا تشكو فيه إلا عيباً واحداً.

أثـارت زوجتي في نفسي الاستعجـال لمعـرفة سبب الخلاف؛ فقلت على الفور:

- وهو؟

قالت: إمساك يده.

قلت: تعنين أنه بخيل.

قالت: لا أحب إطلاق هذه الصفة عليه.

قلت: وأنا والله كذلك.. فقد عرفته متصدقاً، باذلاً في سبل الخير.

قالت: وهذا ما أكدته زوجته..

قلت: إنه زهده إذن. زهده جعله يمسك يده في الإنفاق على زوجته.

قالت: *أنت لم تزره منذ أن تزوج.. فلماذا لا تزوره في بيته وتحدثه برفق دون أن تشعره بما يجرحه أو يجرح نفسه؟*

قلت: أنت على حق. وهذا ما سأفعله إن شاء الله.

* * *

حين دخلت بيت فهد، وشاهدت أثاثه القديم، على الرغم من أنه حديث عهد بالزواج؛ زاد اعتقادي بصدق دعوى زوجته بإمساك يده عنها.

كان فهد شديد الترحيب بي، عاتباً على تأخري بزيارته بعد زواجه، معبراً عن شوقه لجلساتنا القديمة الطيبة.

أبديت له اعتذاري، وأقررت له بتقصيري، وخضت

معه في أحاديث مختلفة . . لكني لم أنجح في أن أنتقل من أحدها إلى ما أردت محادثته من أجله .

أخيراً قلت له : كم سرّني يا أخي أن زواجك لم يشغلك عن حب الصدقة على الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى .

ابتسم راضياً وقال : وكيف عرفت؟ إني والله لأحاول أن أكتم هذا حتى لا تعلم شمالي ما تنفق يميني .

قلت ممازحاً نحن الصحفيين لا نكشف عن مصادر أخبارنا .

قال: . . على ذكر الصحافة . . ما آخر الأخبار؟

خشيت أن يخرجني عن غايتي وقد اقتربت منها ؛ فقلت له عائداً إليها :

ـ دعنا من الصحافة ومتاعبها وأخبارها . .

ابتسم موافقاً .

قلت: ولكن أليس هذا على حساب زوجتك؟

قال (وأحسبه نسي ما كنا فيه) : ماذا تعني؟

قلت: إنفاقك في سبل الخير . ألم يكن على حساب

زوجتك؟

قال متسائلاً: ما يأخذه مني من وقت أم من مال؟

قلت: ما يأخذه منك من وقت ومن مال.

قال: *لقد ذكّرت زوجتي منذ البداية.. أننا في هذه الدنيا عابرو سبيل.. وأننا لسنا خيراً من النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم حين كانوا يعيشون عيشة الكفاف والزهد.*

(شعرت بالرضا لأنني نجحت في الوصول معه إلى الغاية التي أبتغيها.. لكنني في الوقت نفسه أدركت أن إقناعه فيه بعض الصعوبة).

قلت: ولكن الرسول ﷺ علّمنا أن نعطي كل ذي حق حقّه.. ولزوجتك عليك حقوق كثيرة.

قال: لا أحسب أنني مقصر في حق من حقوقها إنها تأكل وتشرب وتلبس.

قلت: ولكن ماذا تأكل؟ وماذا تشرب؟ وماذا تلبس؟

قال: ماذا تعني؟

قلت: هل سألتها يوماً عما تشتهيه نفسها لتشتريه لها؟

صمت ولم يجب.

قلت له: هل ناولتها يوماً مائة دينار وقلت لها اشتري لنفسك ثياباً جديدة؟

ردّ في شيء من الاعتراض: ولم الثياب الجديدة.. و«فساتينها» لم يهترىء منها شيء؟!

قلت: ومَنْ مِن النساء اليوم تشتري «فستاناً» لأن فساتينها اهترأت.. إنهن يحببن الجديد.. ولا بأس من بعض مجاراتهن في ذلك.. لإدخال السرور على قلوبهن.

قال ممازحاً: ومن نصّبك يا أخي محامياً عن زوجتي..

قلت: ماذا تبتغي من وراء تصدقك على الفقراء والمساكين؟

قال: لا شك في أنه الأجر من الله تعالىٰ.

قلت: عظيم. ***هل تعلم أن في تصدقك على زوجتك أجراً أيضاً. بل إن أجر تصدقك عليها أعظم من أجر تصدقك على الفقراء والمساكين؟***

قال: ولكن إنفاقي عليها واجب.. فأين الصدقة؟

قلت: استمع إلى حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه:

«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة،

ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك.. أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

قال صاحبي مندهشاً: الله أكبر. هل تصدق أني أسمع بهذا الحديث لأول مرة؟ ولكن.. هل هو حديث صحيح؟

قلت: أجل. لقد رواه مسلم في صحيحه.

قال: (وكأنه يخاطب نفسه) أشتري لزوجتي ما تشتهيه من طعام ولباس وغيرهما.. فأكسب حبها ورضاها.. وأكسب في الوقت نفسه أجراً عظيماً من الله! كم أضعت من الأجر؟ وكم ظلمت زوجتي؟!

قلت: ***لا بأس عليك.. ولا تحزن على ما فات.. فما زلت في بداية زواجك.. وأمامك الحياة الزوجية ممتدة إن شاء الله.. لتعيد ترتيب الأولويات.. وتعطي كل ذي حق حقه.***

قال: إنفاقي على زوجتي أعظم أجراً من تصدقي على مسكين.. ومن إنفاقي في سبيل الله؟! كم يحرص الإسلام على التأليف بين الأزواج!

قلت: . . ولكن احذر. . !

قال: ماذا؟

قلت: احذر أن ينسيك هذا مساكينك وفقراءك الذين تنفق عليهم. . فالرسول ﷺ لا يدعو إلى هذا. . إنما هو ترتيب للأولويات كما أمر عليه الصلاة والسلام في حديثه: ***«وابدأ بمن تعول»***.

قال: وزوجتي أول من أعول.

قلت: ويؤكد هذا أيضاً حديث آخر رواه البخاري في صحيحه، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ***«إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها. . كانت له صدقة»***.

قال متسائلاً: «يحتسبها»؟

قلت: أي يريد بها وجه الله تعالى بأن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق فينفق بنية أداء ما أُمر به.

قال: ما أعظم كرم الله تعالىٰ.

قلت: ***أليس للمرء أن يعجب من أولئك الذين يبخلون فيحرمون أنفسهم تلك الأجور العظيمة؟***

قال: بلىٰ والله.

قلت: وغير هذا أيضاً.

قال: أهناك خير آخر لهذا الإنفاق.

قلت: نعم. وأحسب أنك تعرفه في تصدقك على الفقراء والمساكين. وهو أنه تعالىٰ يخلف لك في الدنيا ما أنفقته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «*قال الله عز وجل: أنفق أُنفق عليك*» رواه البخاري.

وكذلك الحديث الذي يقسم فيه الرسول ﷺ على ثلاث.. أحدهما: «*ما نقص مال عبد من صدقة*»

الفهرس

ضلع أعوج 9

فرصة للصبر 25

حزم في لين 41

أربح عقد 57

مرض من غير إجازة 75

حين اختلفت

الأولويات عند صديقي فهد 85